

بغداد أبعدُ من القصيدة

محمود ابو الهيجاء

كلمتني نخلةٌ في قصر العباسةِ ، حين احاطني شغفٌ برائحةِ الليلِ
حدثتني عن لغةٍ تكونُ لي كمثلِ تفاحةٍ أبي
كلما أخذُ منها قضمَةً أهبطُ الى وجعي ،
اتعجلُ حممةَ الخيلِ .

كلمتني نخلةٌ كمثلِ ايةٍ بصوتٍ أتلمسُ بيدي
تفتحتُ وتفتحتُ شاماتُ جسدي
قالت : هذي فناديلك في القبرِ
فلا تخشى عتمةً في الدار الاخرة
ولا تخف عتمةَ الدنيا
لكَ فيها سراجٌ من لوعةِ القلبِ
سينيرُ لك الدربِ
تارةً الى الله

واخرى الى التكايا الفاجرة

حدثتني نخلةٌ واسترسلت :
ساتعلقُ بصاحب الضريح
وأرجو حكمته الغافية
لكن شهقاتٍ تهبُّ كما الريح
في ظهيرةٍ كأنها الغاشية
سأذهبُ أدراجها
وبنت الجيران على السطوح
تطارِدُ شهوتها الحافية
هكذا سأتعرفُ على جمرةٍ لا تعرف النوم
وجسدٍ يطيبُ في صحوها
سيرها كلما تحرقَ بها
كانها مكننُ السرِّ والغافية

كلمتني نخلةٌ وهزت بي جذعها
فتساقط دمعٌ لقلبي، وراح الليلُ يطوُّ
رأيتُ " عشرة " اخرى في تاريخها *
رأيتُ رماحا تنسى وتميلُ
رأيتُ فراتا يسبحُ في دمه
والرضا قتلٌ وقتيلُ
واه من سفرٍ بقلّةِ الزاد *
والطريقُ موحشٌ وثقيلُ

كلمتني نخلةٌ

حدثتني عن أيامٍ تكون بطبع احلامٍ سأمشيها

وصورٍ أحملها وأحميها

وهتافاتٍ أصدقها وأرويها

وكمثل عرافةٍ أنبأتني : سأقتلُ ثلاثاً

مرةً تذبحني الكلماتُ النافية

ومرةً يأخذني الوجدُ الى كرسي العرش

هاذياً بجسدٍ مقطوعٍ وجبةٍ خافية

الثالثةُ كالحسين

رأسٌ على رمحٍ

وماءٌ بلا كفين

وكربلاءٍ وحدها الباقية

كلمتني نخلةٌ وفاضت :

بين الكرخِ والرصافةِ أتعلّمُ الدرسَ الحرَ بالمشي الطويل

اتفقه بالشايِ المرِ

أتقوت ساعةَ الجوعِ بالكراثِ الذابلِ

فأتذكرُ السيابَ في مطرِ القافية

تقبلني بغدادُ وأقبلها

وأقبلُ دمعتهَا واقبلُ نزوتها

وأقبلُ في الحاناتِ الرخيصةِ كارهي خليفتهَا

وأقبلُ حتى ظلمتها
فأدور عاشقاً أبحثُ عن بزوغِ قمرٍ
من فلكِ الغانية

تقبلني بغداد واقبلها
أنا جليسُ مقاهيها المتعاليةِ بكلامها البديل
في " البرلمان " أكون كمثلِ ايقونةٍ
في " العجمي " كأحجيةٍ
في " الزهاوي " أنا الشيخُ في مجازاتها الزانية

وانا غريمُ الضحى في ساحاتها
في " الميدان " أتبعُ الرائحة مع صياديتها في الشارعِ الضيقِ ***
في " الطيران " أدورُ مع شطارها ووعيارها
أفتشُ عن طينةٍ ثانية

وانا مشاءُ درابنها
لي في كل " دربونة " شباكٌ يغني ****
وولدٌ شقيُّ يغارُ مني
وبائعةٌ " عسلية " على العتباتِ
ابيعها ابتسامَةً وأشتري منها سكرًا بلون الوردِ
كي أطرده سوء ظني
تقبلني بغدادُ فتربيني دجلتها
وهذا ماؤها هو من يحدثُ الان عني

أيني الآن منها

أينها الآن مني

ستراي في " رام الله " طريداً في لهجتها

سأشمُ في ترابِ الكرمل تراب محنتها

فأجوحُ حيناً

وحيناً لا أعرفُ ماذا سأغني

ما لم تتحدث به النخلةُ خجلاً :

يأخذُ العائدون " عناة " الى تلةٍ على طرف المدينة / يفخرون لها الطين / يلبسونها ثياب العروس

/ يزينوها باحلام الوطن والالقب السماوية / يذبحون لها الذبائح ويقيمون لها الولائم / ينقشون

اسمها على بوابات بيوتهم / ويتقدمون اليها بالفكرة والنشيد / لعل المدينة ترضى عنهم أو لعلها

تقبلُ الصبحة والصحابة ...!!

لكنها الحاراتُ الضيقةُ في لجةِ الكآبة

والرعاةُ السارحون بقطعون الاقاولِ من كل صوتٍ وكتابة

ل كأنها الغرابة

المدينةُ وبقايا الاهلِ

وما تعلق في الذكرِ من صيحةِ العتابا

ما قالته النخلةُ فيما بعد استدراكاً :

سأخرجُ الى حقيبتني / ألوذُ بخرائط أُمي وأوراقها / حقولها الصغيرةِ حول خاصرةِ البيت /

حكاياتها مع حنفيةِ الماء النحاسية التي عند العتبة / سأبحثُ في التصاريح عن وردها الذي حدثني

/ سألوذُ بذكريات أبي أيضا / واذهبُ لأتبتها في شوارع حيفا التحتا / هذي خطاي خطاهُ / ولي

هذه الشرفات / أينها كليمةُ العين / موعدا الليلة عند السروةِ الحوراءُ / أين صبحةِ الحظ /

أين صاحب التبغ الذي علمك / علمني التدخين / اين ذاك الوعد قرب سياج الياسمين / رأيتُ أني
سألقاهُ / في

" عين حوض " ناداني وهو على درجٍ حجريٍ سوف لا أعرفُ بعد الان سواهُ / سأخرجُ الى حقيبة
أحلامي والوذُ بتعاويد أُمي / سأشمُ عطر الحنون بين حروفها / سأرى ضحكتها ترنُ في هذا
الهواءُ

لكن ماذا سأفعل بكل هذا البكاء

ماذا سأفعلُ...؟؟؟

بغداد حيفا

حيفا بغداد

الجرحُ سواءُ بسواء

الهوامش :

- الاشارة الى ايام عاشوراء العشرة في العراق
- مقاله الامام علي بن ابي طالب (رض)
- الاشارة الى رواية جبرا ابراهيم جبرا (صيادون في شارع ضيق)
- الزقاق باللهجة العراقية